

ما الإسائة الانفعالية؟

إعداد/ محمد السعيد أبو حلاوة.
مراجعة/ أ. د/ محمود فتحي عكاشة

أولاً تعريف الإساءة الانفعالية:

تُعرفُ الإساءة الانفعالية بصورة عامة بأنها نمط سلوك يرتكبه الآباء أو مقدمي الرعاية في حق الطفل يمكن أن ينتج عنه ضرر خطير علي النمو المعرفي، الانفعالي، النفسي، والاجتماعي له. ويشار إلي الإساءة الانفعالية كذلك باستخدام مصطلح الإساءة النفسية وتتضمن:

(1) التجاهل: Ignoring إما البدني أو النفسي وتشير إلي عدم استجابة الآباء أو مقدمي الرعاية للطفل. وربما لا يقيم الآباء أو مقدمي الرعاية تواصل بصري مع الطفل، وربما لا ينادونه باسمه.

(2) النبذ أو الرفض Rejecting ويتمثل في الرفض النشط في الاستجابة لاحتياجات الطفل، والسخرية الدائمة من الطفل.

(3) العزل Isolating وفيه يحول الآباء أو مقدمي الرعاية دون مشاركة الطفل في التفاعلات الاجتماعية العادية مع الأقران وبقية أعضاء الأسرة والكبار بشكل عام. ويتضمن أيضاً تقييد حرية وحركة الطفل.

(4) الاستغلال والإفساد Exploiting or Corrupting وفي هذا النمط من إساءة المعاملة يعلم الطفل ويشجع أو يجبر علي الإتيان بسلوكيات غير اجتماعية أو غير قانونية أو مضادة للمجتمع . ومنها سلوكيات تدمير الذات، أو الأفعال الإجرامية المضادة للمجتمع. وفيه يعلم الآباء أو مقدمي الرعاية الطفل السرقة أو إجبار الطفل علي الفجور وممارسة الرذيلة.

(5) الاعتداء أو الهجوم اللفظي Verbally Assaulting ويتضمن هذا النمط من إساءة المعاملة تحقير الطفل والتقليل من شأنه والاستهزاء أو السخرية الدائمة منه والتهديد اللفظي بإيقاع الأذى به.

(6) التخويف أو الترويع Terrorizing وفيه يهدد الآباء أو مقدمي الرعاية الطفل بإيقاع الأذى به ومضايقته وإزعاجه بصورة مستمرة وبث الخوف والرعب في نفسه ووضع الطفل في مناخ نفسي مرعب أو مخيف. ووضع الطفل أو الأشخاص أو اللعب التي يحبها الطفل في مواقف مخيفة. وفرض توقعات ومطالب مبالغ فيها علي الطفل تتجاوز بكثير قدراته وإمكاناته علي تحقيقها مع التهديد الدائم بالعقاب حال الفشل في إنجاز أو تحقيق هذه التوقعات والمطالب.

(7) إهمال الطفل Neglecting the child ويتضمن هذا النمط من إساءة المعاملة الإهمال التعليمي وفيه يفشل الآباء أو يرفضون تقديم الخدمات التعليمية المناسبة للطفل، وإهمال الصحة النفسية للطفل وفيه لا يقدم أو ينكر الآباء أو مقدمي الرعاية أو يتجاهلون حاجة الطفل للعلاج النفسي لمشكلاته النفسية، والإهمال الطبي وفيه يرفض أو يتجاهل الآباء أو مقدمي الرعاية تقديم الخدمات الطبية للطفل أو علاجه من المشكلات الطبية التي قد يعاني منها.

وعلي الرغم من صعوبة تعريف الإساءة الانفعالية بصورة دقيقة أو طرح تعريف يحظى باتفاق غالبية المتخصصين في المجال، إلا أن غالبية الخبراء في الميدان يوافقون علي أن الاتجاهات أو الأفعال الوالديه السلبية الموقفية المؤقتة لا تدخل في إطار الإساءة الانفعالية.حتى وإن فقد الآباء لحظياً قدرتهم علي ضبط الذات و صدر عنهم أشياء مؤذية لأطفالهم. أو فشلوا في إعطاء أطفالهم الانتباه المطلوب، أو ارتكبوا سلوكيات أو أفعال غير مقصودة ينتج عنها ضرر بسيط بأطفالهم. وفي ضوء ما سبق يمكن طرح السؤال التالي ما درجة ومدى الضرر الحقيقي الذي يصاب به الطفل نتيجة أنماط إساءة المعاملة الانفعالية ويبرر إثبات تعرضه بالفعل للإساءة الانفعالية؟ وفقاً لرأي جيمس جاربارينو من مركز تطوير الحياة الأسرية بجامعة كورنيل وهو من الخبراء العالميين في مجال دراسات وبحوث الإساءة الانفعالية فإن الإساءة الانفعالية نمط دائم وحاد من أنماط أو أساليب المعاملة التي ينتج عنه ضرراً ملاحظاً بالنمو النفسي للطفل خاصة النمو الاجتماعي والانفعالي لدرجة تقضي علي نحو مصطلح جاربارينو إلي تآكل أو صدمة الطفل. ويرى آرثر جرين مدير مركز دراسات الأسرة بجامعة كولومبيا أن الإساءة الانفعالية ليست واقعة أو حدثاً يحدث لمرة واحدة منعزلة إذ يقول " نحن نتحدث عن نوع من الأشياء تمارسه الأم المثالية لأكثر من 10% من وقت التفاعل مع طفلها، في حين تمارسه الأم المريضة أو المضطربة من 80% إلي 90% من وقت التفاعل مع طفلها".

ثانياً- لماذا تحدث الإساءة الانفعالية؟

يمكن أن تحدث الإساءة الانفعالية في كل أنماط الأسر بغض النظر عن الخلفية الثقافية والاجتماعية والعرقية. ويتمني معظم الآباء بطبيعة الحال كل الخير لأطفالهم. ومع ذلك يسئ الكثير من الآباء معاملة أطفالهم خاصة الإساءة الانفعالية أو النفسية بسبب الضغوط النفسية والاجتماعية التي يتعرضون لها، وبسبب قصور مهارات رعاية وتربية الأطفال، والعزلة الاجتماعية، ونقص مصادر المساندة أو الدعم الاجتماعي، والتوقعات الوالديه غير المناسبة. وربما يرتكب الآباء الإساءة الانفعالية لأطفالهم نتيجة تعرض الآباء أنفسهم للإساءة الانفعالية في مرحلة طفولتهم.

ثالثاً ما تأثيرات الإساءة الانفعالية؟

يذكر دوجلاس بيشاروف في كتابه إدراك إساءة معاملة الطفل: دليل المهتمين أن الإساءة الانفعالية هجوم أو اعتداء نفسي علي الطفل، كما أن الإساءة البدنية هجوم أو اعتداء علي بدن الطفل. والأطفال المساء معاملتهم انفعالياً كأن يتعرضون بصورة دائمة للتجاهل والتحقير والتخويف والاستهزاء يعانون من مشكلات سلوكية ونفسية علي الأقل إن لم يكن أكثر من المشكلات السلوكية

والنفسية التي يعاني منها الأطفال المساء معاملتهم بدنياً. ووجدت ديانا جلاسر 2002 أن الإساءة الانفعالية يمكن أن تكون منبأ قوياً بالإعاقات التالية في النمو النفسي للأطفال أكثر من الإساءة البدنية. والطفل المحروم من ما يصح تسميته **التغذية الانفعالية** حتي وإن كان معافى بدنياً يمكن أن يفشل في الارتقاء النفسي والعضوي بل يمكن أن يصل به الأمر للموت. ويمكن أن يعاني الأطفال المساء معاملتهم انفعالياً من القلق وبطء أو تأخر النمو النفسي، وانخفاض تقدير الذات. وعلي الرغم من صعوبة ملاحظة علامات مرئية للإساءة الانفعالية فإن الجروح الخفية لهذا النمط من إساءة المعاملة تتضح في العديد من الطرق السلوكية وتتضمن عدم الأمن النفسي، قصور وانخفاض تقدير الذات، السلوك التخريبي، أفعال الغضب (مثل إشعال الحرائق، وتعذيب الحيوانات)، الانسحاب الاجتماعي، تأخر أو قصور نمو المهارات الأساسية، تعاطي المخدرات والخمور، صعوبة تكوين علاقات اجتماعية سوية مع الآخرين. وينمو الأطفال المساء معاملتهم انفعالياً ولديهم إحساس بعدم الكفاءة في الكثير من المجالات. وتستمر مأساة الإساءة الانفعالية مع التقدم في العمر ويصبح هؤلاء الأطفال آباء ربما يواصلون هذه الدائرة مع أطفالهم.

رابعاً اكتشاف الإساءة الانفعالية والوقاية منها:

علي الرغم من أن بعض الأطفال يتعرضون للإساءة الانفعالية فقط دون معايشة صيغ إساءة المعاملة الأخرى، فإن الإساءة الانفعالية غالباً ما ترتبط مع أو تنتج عن أنماط إساءة المعاملة الأخرى مما يجعلها متغيراً دالاً أساسياً لدي كل حالات التعرض لإساءة المعاملة مهما كانت صيغتها. ويؤكد براسارد وجرمين وهارت 1987 أن الإساءة الانفعالية نمط متضمن بالضرورة في كل صيغ إساءة معاملة الأطفال.

(Brassard, Germain, & Hart, 1987, as cited in Pecora, et al., 2000).

والإساءة الانفعالية التي تحدث بصورة مستقلة أو منعزلة عن صيغ إساءة المعاملة

الأخرى من أصعب صيغ الإساءة اكتشافاً بل ويصعب إيقاف دورة حدوثها وذلك لأن هيئات رعاية ووقاية الأطفال تشترط حدوث ضرر واضح أو ملاحظ علي الطفل قبل أن يتم التدخل الوقائي أو العلاجي. ولما كانت الإساءة الانفعالية لا ينتج عنها أذى بدني قابل للملاحظة مثل الحروق أو سوء التغذية فإنه قد يكون من الصعب تشخيصها. وقد طور الباحثون العديد من أدوات التشخيص لمساعدة المتخصصين العاملين في مجال رعاية وخدمة الأطفال والأسر علي اكتشاف وعلاج الإساءة الانفعالية. ويتم تعليم المتخصصين مهارات اكتشاف المتغيرات المنذرة باحتمال تعرض الأطفال للإساءة الانفعالية وذلك

ب طرح والإجابة علي العديد من الأسئلة المتعلقة بالتاريخ الأسري، السلوكيات الأسرية الحالية، ومدى توافر مصادر المساندة والخدمات الأسرية بهدف مساعدة الآباء علي تهيئة بيئات رعاية آمنة ومستقرة للأطفال.

خامساً ما الذي يمكن فعله للوقاية وعلاج ضحايا الإساءة الانفعالية؟

يحتاج كل الأطفال التقبل، الحب، التشجيع، النظام، الاتساق، الاستقرار، والانتباه الإيجابي. والسؤال ما الذي يمكنك فعله عندما تشعر أن سلوكك تجاه طفلك لا يتضمن هذه الخصائص وأنه سلوك مزعج ومجسد للإساءة الانفعالية؟

(1) لا تخاف مطلقاً من الاعتذار لطفلك. إذا فقدت أعصابك وقلت شيئاً ما وأنت غاضب يهين الطفل دون أن تقصد ذلك قدم للطفل اعتذاراً فورياً. فالأطفال يحتاجون إلي أن يعرفوا أن الكبار يعترفون بالخطأ حال ارتكابهم إياه.

(2) لا تطلق أسماء بغیضة علي الطفل ولا تلتصق به مسميات معينة مثل (الغبى، الكسول، المهمل) أو جملاً معينة مثل (أنت لا تجيد فعل أي شيء، لن تتجح أبداً، آه لو تكون مثل أخوك). فكل هذه التسميات والأوصاف تمزق تقدير الطفل لذاته. الأطفال يحتاجون الاحترام والتقدير من الآخرين.

(3) واجه السلوك المعيب الذي يحتاج التصحيح بصورة مناسبة وبأساليب تعليم رفيقة مثل الإبعاد المؤقت عن نشاط أو لعبة محببة، أو التداعيات الطبيعية للسلوك. وكن متأكداً من مناقشة الطفل حول جوانب الخطأ في السلوك الذي صدر منه وسبب رد الفعل علي هذا السلوك ووجه التصحيح إلي السلوك وليس إلي الطفل من أجل عقابه.

(4) قدم ثناءً وشكراً فورياً للطفل حال إنجاز المهام حتي وإن كانت صغيرة، أو عندما يصدر عن الطفل سلوكاً حسناً.

(5) ابتعد عن الموقف عندما تشعر بأنك ستفقد سيطرتك علي نفسك. واعزل نفسك في حجرة أخري لدقائق قليلة، عد من واحد إلي عشرة قبل أن تتطرق بأي شيء، اطلب مساعدة شخص آخر، أو خذ نفساً عميقاً قبل رد الفعل.

(6) اطلب المساعدة فالمساعدة متاحة للأسر التي ترتفع فيها المتغيرات المنذرة بخطر احتمال تعرض الأطفال للإساءة الانفعالية.

المراجع

- (1) Besharov, D. J. (1990). *Recognizing child abuse: A guide for the concerned*. New York: The Free Press.
- (2) Glaser, D. (2002, June). Emotional abuse and neglect (psychological maltreatment): A conceptual framework .*Child Abuse & Neglect* , 26, 697-714.
- (3) Pecora, P., W hittaker, J., Maluccio, A., and Barth, R. (2000). *The child welfare challenge*. New York: Aldine de Gruyter.

المصادر

- (1) Dubowitz, H., and De Pa n f i l i s, D. (Ed s.). (2000).*Handbook for child protection practice* . Thousand Oak s, CA: Sage Publication s, In c.
- (3) Feild, T., and Winterfeld, A. (2003). *Guidelines on abuse—emotional abuse. Tough pro b l e m s , tough choices : Guidelines for needs-based service planning in child welfare* . Englewood, CO: American Humane and Casey Outcomes and Decision - Making Pro j e c t .

Revised 1/04